الاتجاه الأخلاقي في الفكر الكلامي عند الشيعة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآداب – قسم الفسلفة

إعداد الباحثة

مريهان محمود محمد محمود أبو طالب

ملخص باللغة العربية :

تعددت الآراء في تحديد نشأت التشيع، والأرجح أنه عندما مات عثمان τ انقسم المسلمون إلى فريقين، فريق سُمي بشيعة علي، وكان الفريق الأكبر، والفريق الثاني سمي بشيعة معاوية، وبمرور الوقت ازداد حماس المؤمنين بعلي وأبنائه وأحفاده كأئمة على المسلمين، ومن حقه الولاية والخلافة، فالشيعة يرون أن التشيع عقيدة دينية خالصة، وهناك مسلمون يرون أنه فكر سياسي، وفريق يرى أن التشيع وجدان عاطفي خالص، ومن ثم فالشيعة لم يكونوا في الأول فرقة دينية، بل كانت فكرة سياسية، وهي أن عليًا أحق بالخلافة من معاوية، فكان تحمسهم لعلي من وجهة نظرهم؛ لأنه ذو علم وحكمة، ولأنه ابن عم النبي .

تُعتبر فرقة الشيعة من أكبر الفرق الإسلامية وأكثرها تأثيرًا واستمرارًا إلى اليوم، ولم تختلف الشيعة عن باقي الفرق إلا في التأويل والأحكام، واختلفت أيضًا مع باقي الفرق في شروط الإمامة وطريقة تطبيقها ومن أحق بها اجتمعت فرق الشيعة على عدة أصول ومبادئ، وكان بعضها إيجابيًا، وبعضها سلبيًا، فكان الإجماع على هذه المبادئ هو شرط لصحة الإيمان عندهم والانتساب إليهم، وأثرت المعتزلة على الشيعة، كما أخذوا من الشيعة الأصول الخمسة ماعدا أصل واحد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضعوا مكانه أصل الإمامة، وتأثروا أيضًا بآراء كبار الصوفية، وخاصة الفلاسفة منهم؛ لذا كان التصوف والاعتزال هما السمات الغالبة على مبادئ الشيعة.

الملخص باللغة الإنجليزية:

There were many opinions in defining the origin of Shiism, and it is most likely that when Othman, peace be upon him, died, the Muslims were divided

into two teams. The Shiites believe that Shiism is a pure religious belief, and there are Muslims who believe that it is a political thought, and a group believes that Shiism is a pure emotional sentiment, and therefore the Shiites were not in the first a religious sect, but rather it was a political idea, which is that Ali is more deserving of the caliphate than Muawiya, so their enthusiasm for Ali was from their point of view; Because he is knowledgeable and wise, and because he is the cousin of the Prophet.

The Shiite sect is considered one of the largest, most influential, and persistent Islamic sects to this day, and the Shiites differed from the rest of the sects only in interpretation and rulings, and they also differed with the rest of the sects in the conditions of the Imamate, the way it was applied, and who was entitled to it. The Shiite sects met on several principles and principles, some of which were positive, and some Negatively, consensus on these principles was a condition for the validity of their faith and affiliation with them, and the Mu'tazila influenced the Shiites, as they took from the Shiites the five principles except for one, which is the command of good and the prevention of evil, and they put in its place the principle of the Imamate, and they were also influenced by the opinions of the great Sufis, especially

the philosophers among them ; Therefore, Sufism and isolation were the dominant features of the Shiite principles

توفي رسول الله في شهر ربيع الأول السنة العاشرة من الهجرة عن عمر ثلاث وستين سنة، فافترقت الأمة بعده إلى ثلاث فرق، منها الشيعة، وسميت أيضًا مشيعة علي بن أبي طالب، وأيضًا منه افترقت صفوف الشيعة كلها، فرقة ادعت الإمارة والسلطان، وهم أنصار الدعوة إلى عقد الأمر لسعد بن عبادة الخزرجي، وفرقة مالت إلى بيعة أبي بكر، وكانت حجتهم أن النبي لم ينص على خليفة، وأنه جعل الأمر إلى الأمة تختار لنفسها من رضيت، واختصمت فرقة الأنصار والفرقة التي مالت إلى بيعة أبي بكر، وتنازعوا وقالوا منا أمير ومنكم أمير، فاحتجت الفرق، وقالوا إن النبي قال الإمامة من قريش، فخرج أبو بكر إلى الشام، وتوفي هناك، حينئذٍ سُموا الجماعة، ثم افترقوا، وبعد ذلك صارت ثلاث فرق استمروا على ولاية علي بن أبي طالب مع سعد بن مالك، هؤلاء رفضوا ولاية علي τ، وامتنعوا من محاورته، فسموا المعتزلة، وفرقة خالفت عليًا، وكان على رأسهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة بنت أبي بكر ψ، فذهبوا إلى البصرة، وقتلوا عمال علي، وأخذوا المال، فثار عليهم علي، فقتل طلحة والزبير، وهزم أصحاب الجمل، وهرب جزء منهم، فانضموا إلى معاوية بن أبي سفيان، ومعهم أهل الشام، وخالفوا عليًا، ودعوا إلى الطلب بدم عثمان، وحاربوا عليًا هم وأهل صفين، ثم خرجت فرقة ممن كانت مع علي وخلافته، وقالوا لا حكم إلا لله، وكفَّروا عليًا، وتبرأوا منه، وأمَّروا عليهم ذا الثدية، فحاربهم علي وقتلهم، وقتل ذا الثدية، فسموا الحرورية، وسموا جميعًا الخوارج، ومنهم افترقت فرق الخوارج كلها[1]. فأصول الفرق كلها أربعة: الشيعة، المعتزلة، المرجئة، والخوارج.

وأول فرق الشيعة هي فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي ، والذين قالوا بإمامة المقداد بن الأسود، وسليمان الفارسي، وأبي ذر جندب الغفاري، وعمار بن ياسر، وهم أول من سُمي باسم التشيع، والتي تُسمى بالبترية، رأت أن عليًا كان أولى الناس بعد الرسول ، لفضله وعلمه، وهو أفضل الناس كلهم بعده، وأشجعهم، وأجازوا مع ذلك إمامة أبي بكر وعمر، وخرجت من هذه الفرقة فرقة قالت أن عليًا أفضل الناس لقرابته من رسول الله ، ولكن كان جائز للناس أن يولوا غيره إذا كان هذا الوالي مجزئًا،

فالوالي الذي ولُّوا طاعته واجبة من الله عز وجل، فمن خالفه من قريش أو غيرهم من الناس فهو كافر ضال.

الجارودية الزيدية: قالوا بتفضيل علي عليه السلام، ولم يروا مقامه لا يجوز لأحد سواه، وأقروا أن من دفع عليًا إلى ذلك المكان فهو كافر، وجعل الإمامة بعده في الحسن بن علي ثم الحسين، ومن هذه الفرقة تشعبت صفوف الزيدية.

السبأية: بعد موت علي افترقوا إلى ثلاث فرق، منها من قالت إن عليًا لم يُقتل، ولا يُقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلًا، فهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي ، وهم أصحاب عبد الله بن سبأ.

الكيسانية: قالت بإمامة محمد بن الحنفية، وسموا الكيسانية؛ لأن أبي عبد الله الثقفي كان رئيسهم، وكان يلقب بكيسان، وهو الذي طالب بدم الحسين بن علي، وثار حتى قتل من قتله وغيرهم من قتل، وهذه الفرقة لزمت القول بإمامة الحسن بن علي بعد أبيه[٢].

فليس من الغريب أن الشيعة تنقسم إلى عدة فرق، فكان اختلاطًا من الشعوب والأجناس لهم ميول مختلفة، وبواعث مختلفة أيضًا، فكان السبب الرئيسي في إنقاص أمرهم هو تعلقهم بالأئمة، فكان منهم الغلاة والمتطرفون، ومن أهم فرق: الشيعة الزيدية، الاثنا عشرية، الإسماعيلية[٣].

١. الزيدية: من أهم فرق الشيعة المعتدلة، ومؤسسها الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب τ، وهم الذين قال بوجوب إمامة أبناء علي من فاطمة دون غيرهم، ويجب تقديمه لأنه من أبناء فاطمة، ولأنه عالم زاهد شجاع بالفطرة، وقد تميز الفكر الزيدي بأصوله واعتماده على الكتاب والسنة، وهو ما ظهر واضحًا في مؤلفات الإمام زيد مثل كتاب الحق، وكتاب المجموع في الفقه، فكان الإمام زيد عالمًا فقيهًا في المذاهب والفرق، وكان مبرزًا في علوم القرآن والحديث، وكان يدعوا أصحابه إلى التمسك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة، كما كان يدعوهم إلى ترك البدع والمنكرات.

وافق الإمام زيد أخاه في أن الخلافة اقتصرت على الإمام علي، ولكن اختلف معه في الشروط التي يجب توافرها في الخليفة، وأنه يرى أن الوراثة لا تكفي، ولابد من توافر

شرطين هما: أن يخرج يدعو لنفسه، والأخر يبايعه الناس، على عكس أخيه الذي يرى أن الخلافة تقوم بالوراثة بعد الحسين بتلقيها بالوصية من الابن الأكبر عن أبيه، ورفض الزيدية أن تكون بالوراثة؛ لهذا سموا الرافضة، وكان هذا السبب في الاقتتال، وانقسمت الزيدية إلى العديد من الفرق، منها فرقة السلمانية، وفرقة الصالحة التدبيرية، وفرق نعيمة، وفرقة اليعقوبية [٤].

نشأة التشيع:

تعددت الآراء في تحديد نشأت التشيع، والأرجح أنه عندما مات عثمان τ انقسم المسلمون إلى فريقين، فريق سُمي بشيعة علي، وكان الفريق الأكبر، والفريق الثاني سمي بشيعة معاوية، وبمرور الوقت ازداد حماس المؤمنين بعلي وأبنائه وأحفاده كأئمة على المسلمين، ومن حقه الولاية والخلافة، فالشيعة يرون أن التشيع عقيدة دينية خالصة، وهناك مسلمون يرون أنه فكر سياسي، وفريق يرى أن التشيع وجدان عاطفي خالص، ومن ثم فالشيعة لم يكونوا في الأول فرقة دينية، بل كانت فكرة سياسية، وهي أن عليًا أحق بالخلافة من معاوية، فكان تحمسهم لعلي من وجهة نظرهم؛ لأنه ذو علم وحكمة، ولأنه ابن عم النبي [٥].

تُعتبر فرقة الشيعة من أكبر الفرق الإسلامية وأكثرها تأثيرًا واستمرارًا إلى اليوم، ولم تختلف الشيعة عن باقي الفرق إلا في التأويل والأحكام، واختلفت أيضًا مع باقي الفرق في شروط الإمامة وطريقة تطبيقها ومن أحق بها[٦].

فقد كان للشيعة وفرقها دور سياسي واجتماعي منذ ظهور الإسلام، بالإضافة إلى دورها الكلامي والإيجابي في مقاومة أصحاب الآراء الفاسدة والاتجاهات المخالفة، فعندما ظهر مصطلح الشيعة ظهر ما يدل على الاعتقاد المطلق أن عليًّا τ هو صاحب الحق المطلق في الخلافة، وأن الخلفاء الذين جاءوا قبل علي τ كانوا غاصبون[٧].

ظهر أول خلاف واضح بين المسلمين بعد وفاة النبي ، وظهرت عدة اتجاهات، منها اتجاه يقول بأحقية بني هاشم الخلافة؛ لأنهم أقرب لقريش وللرسول، وأقربهم علي بن أبي طالب، ووافق على هذا الاتفاق أقوى أقرباء الرسول ولم يدم طويلًا هذا الخلاف[٨].

وذكر أبو بكر الصديق حديث النبي الأئمة من قريش وتمت البيعة، وكانت هذا أول بداية لظهور أنصار علي τ، وهذه تُعتبر بداية تاريخية لنشأة التشيع[٩].

وقد اختلف الكثير من المؤرخين على بداية التشيع، وظهرت آراء عديدة ومنها: الرأي الأول أن بداية التشيع في عهد النبي ، والرأي الثاني: أن بداية التشيع بعد موقف الثقيفة، أي كان بعد اختلاف الصحابة في الثقيفة بعد وفاة النبي في أمر الخلافة، والرأي الثالث: أن بداية التشيع بمقتل عثمان وتولية علي، فبعد مقتل عثمان حصل انقسام بين المسلمين، وبدأ ظهور أمر الشيعة، والرأي الرابع: أن بداية التشيع بمقتل الحسين، يرى أصحاب هذا الرأي أيضًا أن مصطلح الشيعة ابتدأ بعلم خاص لفرقة معينة لهم أراء خاصة يتميزون بهم عن غيرها، وكان هذا بعد مقتل الحسين، [١٠]والأرجح أن بداية التشيع كانت في عهد النبي هو رأي الكثير من علماء الشيعة، حيث قالوا إن بداية التشيع ظهرت في عهد النبي .

تعريف التشيع:

جاءت كلمة شيعة في القرآن الكريم بعدة معانٍ، ومنها تَشيع أي تنتشر، كما في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (النور: ١٩)، ومنها أيضًا أشياعكم أولياؤكم وأنصاركم جمع شيعة كما في قوله تعالى: وَلَقَدْ أهلكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (القمر: ٥١)، بأشياعهم حكم وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (سبأ: ٥٤)، شيعًا وفرقًا جمع شيعة أو شيعًا، شيع الأولين وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (الحجر: ١٠)، الشيعة الفرقة من الناس يتابع بعضهم بعض ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (مريم: ٦٩)، وشيعة الرجل أولياؤه وأنصاره فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هُذَا مِن شِيعَتِهِ وَهُذَا مِنْ عَدُوِّهِ (القصص: ١٥)[١١].

أطلق على فرقة الشيعة عدة أسماء منها الاثنا عشرية والإمامية والجعفرية، وكلها ألفاظ متعددة، فسميت بالاثنا عشرية؛ لأنها تسوق الإمامة إلى اثني عشر إمامًا –كما سنذكر–، وسميت الإمامية لأنها قالت بوجود نصب الإمام، وسميت الجعفرية نسبةً إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق، ولم تسمى بذلك لأنها تقف بالإمامة عليه، وسميت لأنها ظهر كيانها في عصره وفي عصر أبائه، وهذه الطائفة غير معروفة بهذا الاسم إلا في جبل

عامل بعلبك، أما الشيعة في سائر البلاد الإسلامية فلا تُعرف بالأسماء المتقدمة، فيلتقون على اسم الشيعة أو الرافضة[١٢].

الشيعة الاثنا عشرية: تنتمي فرقة الاثنا عشرية إلى محمد المهدي، وهم من ضمن سلسلة الاثني عشر إمامًا، ومحمد الذي اختفى عام ٢٦٠ هجريًا وهو المهدي المنتظر، الإمامة عندهم في مستوى النبوة والإمامة حجة الله في أرضه يفسر النصوص الدينية ويتلقى الوحي، وإرث للمؤمنين السبيل، وهو معصوم من الخطأ، وحكمه لا يرد ومن خرج عليه يُقتل، والإمامة وراثية ليست في متناول الجميع، يقولون إن الأئمة كالأنبياء معصومون من الخطأ.

الشيعة الإسماعيلية: اختلفوا في نشأتها وسبب تسميتها، وترجع إلى إسماعيل، الإمام السابع والابن الأكبر لجعفر الصادق، وأنها لم يكن لها وجود في عصر إسماعيل نفسه، بل ظهرت بعد وفاته بنحو مائة سنة، وللإسماعيلية عدة أسماء أهمها الباطنية؛ لأنهم قالوا للإمام الباطن، ولأنهم يرون أن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، وثم التعليمية أيضًا؛ لأنهم يتعزون الرأي، ويدعون إلى التعليم والأخذ عن الإمام المعصوم، فقد كانوا أساتذة في التنظيم السري واستباحة القتل والعنف أحيانًا، وعاثوا في الأرض فسادًا، وخاصةً على أيدي القرامطة والحشاشين وقالوا بالوراثة الروحية.

ولا شك أن الإسماعيلية تضايقت فلسفتهم، ترتب على ذلك نتائج خطيرة، واستباحة المحرم، والاغتيالات الفردية لمن وقف في طريقهم، وكشف سترهم، وقد اشتد خطرهم في أخريات القرن الخامس الهجري، وهجم عليها الغزالي هجومًا عنيفًا، ووضع في ذلك كتاب رسائل تحدث فيه عن فضائهم ومنها خطر مسألة التعليم من الإمام المعصوم[١٣].

ومن فرق الشيعة أيضًا:

١. الناموسية والنفسية: وهم أتباع رجل من أهل البصرة، وكان ينتسب إلى ناس بها، وهم يزعمون أن الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر.

٢. الشميطية: وهم قوم يحزبون إلى يحيى بن شميط، وقد ساق الإمامة بطريق النص من جعفر إلى ابنه محمد بن جعفر، وقد اقترب موت جعفر وزعموا أن جعفر وثقها لابنه محمد وزعم أن المنتظر من ولده.

٣. ذكر اليونسي: وهم أتباع بن عبد الرحمن القمي، وكان في الإمام علي مذهب القضيعي، وما الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر وهو الذي لقب ثقة في موت موسى بالكلاب المسعورة[١٤].

علاقة الشيعة بالفرق الكلامية:

امتلأت كتب التاريخ والمقالات القديمة والحديثة بموضوع اختلاط الفرق بعضها ببعض، واتصالهم ببعضهم البعض وتأثيره بعضهم البعض، فكل فرقة نجد لديها بعض المبادئ، ثم نتجه لفرقة أخرى فنجد تشابهًا ملحوظًا بينها وبين الفرقة الأخرى، وسوف نعرض بشكل مجمل لبعض هذا التأثير بين فرقة الشيعة والفرقة الأخرى.

فالشيعة هي الفرقة الثانية في الظهور بعد ظهور فرقة الخوارج، وظهر في أصولها بعض عقائد غيرها من الفرق، فالشيعة مثلًا يقوم دينهم كما يزعمون على كلام الأئمة، ونصفهم وليس لهم عدول عن شرائع أولئك الأئمة، ثم صاروا فيما بعد أهل نظر وأصحاب منهج عقلي، يقررون المسائل العقيدية بالنظر العقلي الاعتدالي، ولهذا اختلفت بعض العقائد عندهم عما كان مشهورًا عند المتقدمين، فالزيدية من أصحاب الشيعة أصبحت تدين بكل أصول المعتزلة الخمسة، وأيضًا كان يعظمون شيوخ المعتزلة أكثر من تعظيمهم لآل البيت، وقد أخذوا نفس أصول المعتزلة الخمسة، لكنهم استبدلوا المنزلة بين المنزلتين بالإمامة التي أصبحت امتدادًا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٥].

وضعت المعتزلة لنفسها منهجًا خاصًا، وأصولًا عقائدية تميزها عن غيرها، فلا يكون الشخص معتزلي إلا إذا أخذ هذه الأصول، وثبت عليها، ولكن نجد أيضًا أنها لم تسلم من التأثر بغيرها من الفرق رغم أن تأثيرها في غيرها أكثر، لكنها أخذت من الخوارج ومن القدرية ومن الجهمية، ولكن صاغت ما أخذته منهم بطريقة خففت فيها من الغلو الذي كان عند أولئك، ثم زادوا على ذلك أو ظهر في بعضهم عقائد الشيعة، حتى أطلق على معتزل البغدادي متشيعة المعتزلة تميزًا لهم عن معتزلة البصرة، فقد فضلوا عليًا على أبي بكر، وإذ أن أصحاب الجمل وتبرؤوا من معاوية وعمر بن العاص وخاصة في مبحث الإمامة، ونسب

إلى النظام بعض آراء تتفق مع قدماء الشيعة كالقياس والإجماع، واعتبار الحجة في قول الإمام المعصوم، فإن أصل التوحيد عند المعتزلة يكون في أساسه على نفي الصفات عند الله، فضلًا عن الماهية، متحججين بوجوب تنزيه الله تعالى عن الجسمية والتشبيه، والمعتزلة الوعيدية القائلة بأن الإيمان قول وعمل الذين جعلوا العمل شرطًا في صحة الإيمان لا يصح الإيمان إلا به كما سبق بيانه[١٦].

وذكر المؤلفون أدلة تدل على استقلال الفكر الشيعي الزيدي والرافضي عن المعتزلة حتى في المسائل التي يوافقون فيها المعتزلة، ومن هذه الأدلة:

١. أن واصل بن عطاء هو الذي تتلمذ على أئمة الشيعة، وأنه أخذ العلم عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن حنفية، ثم خرج إلى البصرة حتى كانت حادثة اعتزاله من مجلس حسن البصري التي أظهر فيها ما أخذه من آل البيت.
٢. أن موضوعات علم الكلام كما يزعم القزويني قد طرحت على الساحة الإسلامية قبل ظهور واصل ابن عطاء والمعتزلة، ويقصد بهذه المسائل المسألة حرية الإرادة الإنسانية، ومسألة الصفات، ومسألة النبوة والإمامة، أما مسألة مرتكب الكبيرة التي كانت سببًا لاعتزال واصل من عطاء، ونشأة المعتزلة فهي كما يذكر المتأخرون عن مسائل علم الكلام بأكثر من نصف القرن، فالمعتزلة هم أول من تكلم في هذه المسائل ثم أثروا في غيرهم.
٣. أن المعتزلة لم يكن لهم معرفة بمسالك المتكلمين، وهذا يدل على أن رجال الفكر وأصحاب الكلام هم شيعة، وهذه بعض الأمور التي استدل بها الشيعة على قدمهم في علم الكلام واستقلالهم عن المعتزلة وعدم تأثرهم بها، ولكن ما ذُكر لا ينفي أبدًا تأثرهم بالمعتزلة، بل في إشارة إلى إحساس الشيعة بتورطهم في هذا الأمر من ناحية، وإلى شعورهم بأن القول بتأثير المعتزلة قد شاع فيه مؤلفات المتقدمين والمتأخرين[١٧].

ثانيًا: مبادئ الأخلاق عند الشيعة

اجتمعت فرق الشيعة على عدة أصول ومبادئ، وكان بعضها إيجابيًا، وبعضها سلبيًا، فكان الإجماع على هذه المبادئ هو شرط لصحة الإيمان عندهم والانتساب إليهم، وأثرت

المعتزلة على الشيعة، كما أخذوا من الشيعة الأصول الخمسة ماعدا أصل واحد وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضعوا مكانه أصل الإمامة، وتأثروا أيضًا بآراء كبار الصوفية، وخاصة الفلاسفة منهم؛ لذا كان التصوف والاعتزال هما السمات الغالبة على مبادئ الشيعة، وهذه المبادئ هي:

- اتفقت الشيعة على أن الإمامة قضية تتعلق بأصول العقائد؛ لأن الإمامة ركن من أركان الدين، والإمام يعين بالنفس والوصية، ولا يعين بالانتخاب والرأي، وهي عندهم أصل من أصول الدين، وأن إمامة علي كانت بالنص، كما أنها ركن من أركان الدين الإسلامي، لا يمكن تجاهله، وأنها تكون بالوراثة في أهل البيت وحدهم دون غيرهم.
- اجتمعت فرق الشيعة على القول بأن من تولى الخلافة قبل الإمام علي –وهم أبو بكر وعمر وعثمان– ومن تولى الخلافة بعده كانت خلافاتهم غير صحيحة، وكان علي بن أبي طالب هو المبلغ عن الرسول والشارح والمفسر لتعاليم وأسرار حكمه وأحكامه، فالإمام الوحيد المعترف به هو الإمام علي بن أبي طالب.
- اجتمعت الشيعة على وجوب تقديس الأئمة، وقولهم إن الأئمة كالأنبياء، معصومون من الخطأ في كل حياتهم، لا يفعلون أي خطأ صغيرًا ولا كبيرًا؛ لذا وجبت العصمة لهم في الإمامة استمرارًا للنبوة؛ لأنها من الوسطاء بين الله والناس.
- إن أقوال الأئمة نصوص وأصول من قبل الشرع؛ لأن الإمام معصوم من الخطأ، وهو الذي ينص على من يخالفه، وأن الإمام معصوم بعلمه عن النسيان.
- اتفقت فرق الشيعة على القول بأن مرتكب الكبيرة لا يعد كافرًا ولا مشركًا، ولا يخرج عن الإيمان ولا عن الإسلام، بل يُعد فاسقًا عاصيًا.
- اتفقت بعض فرق الشيعة على القول بأن المهدي المنتظر حقيقة وهو محمد بن الحنفية، وزعم البعض أن محمدًا يقيم في جامع الرضوى، وأنه دفن بالبقيع، وبعضهم لا يعترف به، ويقولون إنه سيعود بوصفه الإمام المنتظر.
- عقيدة الشيعة في القرآن الكريم: بعض فرق الشيعة لا يعتقدون بالقرآن الكريم الموجود، وإنما يعتقدون أن القرآن الصحيح سيظهر مع ظهور المهدي المنتظر.

- عقيدة الشيعة في الصحابة: يقوم الشيعة بسب وشتم الصحابة بألفاظ بذيئة، ويقول محمد بكرة المجوسي أنهم يتبرؤون من الأصنام الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، والنساء الأربع، عائشة وحفصة وهند وأم الحكم، ومن جميع أتباعهم.
- عقيدة الشيعة في السنة النبوية: السنة عندهم هي ما يصح عن النبى ε، وينكرون السنة عند أهل السنة والجماعة[١٨].
- عقيدة الشيعة في الرجعة: وهي عودة الأئمة بعد موتهم لمحاسبة من اغتصب حقهم ولم يؤمن بإمامتهم، وهي أصل من أصول المذهب عندهم، ونظرية الرجعة عند الشيعة أكثرهم أنهم يقولون بعودة إمام منتظر يملأ الأرض عدلًا، وهو المهدي المنتظر، وهو لم يمت بل في حالة غيبة مؤقتة، لهذا سموه الإمام المستتر، وهو يدبر الأمور في فترة استتاره، ولذلك يسمى قائم الزمان، وعندما يعود هذا الإمام سيقوم بصلب أبي بكر وعمر على شجرة رطبة، ثم تصير يابسة بعد الصلاة ثم يحيي السيدة عائشة أم المؤمنين ويقيم عليها الحد[١٩].
- عقيدة الشيعة في الإمامة: أول من ابتدع فكرة الإمام عند الشيعة هو عبد الله بن سبأ اليهودي، فقد جعلوا قبول الأعمال من العباد مشروط بالإيمان بالإمامة، فالذي ينكر الإمامة يكون خارجًا عن الإسلام، ويكون كافرًا ضالًا مستحقًا للخلود في النار.

وهناك العديد من العقائد الأخرى كعقيدة الطينة، وعقيدة زيارة الأضرحة والقبور، وعقيدة ضرب الخدود، وغيرها من العقائد عند الشيعة[٢٠].

ثالثًا: أصول الأخلاق عند الشيعة

الأصل الأول: التوحيد:

وهو الأساس الذي يُعتمد عليه المسلم في بناء عقيدته، واستدلت الشيعة على وحدانية الله عن طريق العقل والنقل، بأن الله سبحانه وتعالى واحد، فقد سلك الشيعة في فلسفة التوحيد نفس نهج آل البيت ودافعوا عنه، ولهذا يستدلون على التوحيد ومعنى التوحيد من خلال أقوال الأئمة، كقول الإمام علي في أول خطبة له "الدين معرفة، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه".

وحدة الذات الإلهية، وهي بساطة النفس، واستحالة كونها مركبة بأي نوع من أنواع التركيب، سواء أكان عقليًا أم خارجيًا، واستدلوا على استحالة تركيب الذات بأمور هي:

- المركب مفتقر في وجوده إلى كل جزء من أجزائه، بحيث لو تخلى في جزء واحد عن الآخر لما وجدت ذات المركب، أي أن كل جزء من أجزاء المركب مفتقر في وجوده للأجزاء الأخرى ليتحقق وجود المركب ككل.
- إن الذات الإلهية لو كانت مركبة من أجزاء لاحتاجت في تركيبها إلى مركب ومؤلف، وبالتالي لاحتاج لوجود التركيب المزعوم للذات الإلهية إلى موجب، وإن الذات الإلهية لو كانت مركبة من أجزاء لم يخل الأمر هذه الأجزاء عن إحدى ثلاث حالات، وهي:
  - الأولى: أن تكون جميع هذه الأجزاء واجبة الوجود.
  - الثانية: أن يكون جميع هذه الأجزاء ممكنة الوجود.
  - الثالثة: أن يكون بعض هذه الأجزاء واجب الوجود، والبعض الآخر ممكن الوجود.

ومن خلال هذه الأدلة الثلاثة يتضح لنا أن الذات الإلهية يستحيل أن تكون مركبًا، بل هي واحدة وبسيطة.

والصفات الذاتية عند الشيعة هي: العلم، والقدرة، والاختيار، والحياة، والإرادة، والكراهية، والسمع، والبصر، والسرمدية، وهي عين ذات تعالى فعلًا وتأثيرًا.

فهذه هي عقيدة الشيعة في صفات الله الذاتية، وأنها عين الذات، وهناك صفات أخرى تسمى بصفات الأفعال، وهي كل صفة تقتضي وجود غير الموصوف، وهي صفة الفعل، بمعنى أن الله لا يتصف إلا بعد وجود الفعل، فلا يطلق عليه خالد قبل فنائه للأشياء، ولا محيي قبل إحيائها.

أما من ناحية مسألة التشبيه والتجسيم والجهة، فالشيعة تعتقد أن الله تعالى سبحانه ليس بجسم ولا بجوهر ولا عرض ولا في جهة أو زمان أو مكان ولا يتحد بغيره، ولا يحل في شيء، إذ لو كان جسمًا لكان حادثًا، ولو كان في مكان أو زمان أو وجه ألزم قدم المكان والزمان[٢١].

الأصل الثاني: الميعاد:

اجتمع المسلمون على ضرورة الميعاد في دينهم، وهو يوم الحساب، ويجب التصديق والاعتقاد به، وهو أمر معلوم الثبوت بالضرورة من دين رسول الله ، وقد صرح بها القرآن الكريم، ودلَّ عليها في آيات كثيرة، وضرورة العقل بلزومه أن الله تعالى وعد المكلفين بالثواب على الطاعة وبالعقاب، والله تعالى كلَّف المسلمين بأوامر ونواهٍ أيضًا قد ثبت بضرورة العقل والنقل والحكمة وحكمته وعدله، فيجب البعث بمقتضى حكمته وعدله.

فقد استدلت الشيعة على وجوب البعث بالعقل والنقل، فلأن العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود.

الأصل الثالث: العدل:

العدل الإلهي يراد به عند الشيعة هو أن الله تعالى لا يظلم أحدًا، ولا يفعل ما يصحبه العقل، فهم يعتقدون بأنه تعالى منزه عن الظلم وفعل القبيح في نظر العقل، كالكذب والتكليف بغير المقدرة، وأنه تعالى لا يفعل إلا عن حكمة ومصلحة تعود على عباده، وأنه ما أضل أحدًا من عباده، بل هداهم جميعًا مؤمنهم وكافرهم؛ لأن معنى الهداية عنده هو البيان للناس جميعًا، ويقولون لو جاز عليه فعل القبيح، فنظر العقل لأجاز أن يظهر المعجزة على يد الكذب، والإجازة أن يعذب المطيع ويثيب العاصي، وكل ذلك قبيح يرتفع معه الخوف والرجاء، ويعتقدون أن أفعاله تعالى معللة بالأغراض، ويعتقدون أن الكفر والمعاصي من فعل الإنسان وخلقه، وهو مخير غير مجبور على اختيار شيء من ذلك، والله لم يقدر عليه شيء من ذلك ولا خلقه، إذا لو كان من خلقه للإنسان أن يكون مهديًا، وهذا هو الجبر بعينه، وبه تقثل حجة الله على عباده، والحسن والقبح لا سبيل إلى معرفتهما غير العقل، أما الشرع فهو مؤكد ومرشد إلى دليل العقل، ولو كان الشرع هو المستقل بذلك لألزم الدور المحال في نظرهم في بناء قاعدة الحسن والقبح، ويعتقدون أيضًا أن التكاليف جاءت لمصالح العباد، فما كانت مصلحته لازمة جعله تعالى واجبًا، وما فيه مفسده بالغة جعله تعالى حرامًا، وما كانت مصلحته راجحة كان مندوبًا وهكذا، ويعتقدون في القضاء والقدر وأن الله تعالى لا يقضي إلا ما كان عدلًا بحكمته وحسنًا، فلا شيء من القبائح والرذائل والظلم والعدوان والكفر والمعاصي من قضائه وقدره؛ لأنه تعالى قد حرمه وتوعد عليه، وحكم بقبحه فلا يكون من قضاء[٢٢].

جميع الشيعة يعتقدون بالعدل المطلق لله تعالى، ولهذا قالوا في العدل، وبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الأصول من النبوة والإمامة والمعاد، وهو أن كان داخلًا في جملة صفاته تعالى لأن معنى قولنا عادل أنه حكيم ليس بظلم كما استطاع الإنسان من خلال ممارسة السلوكية أن يتضاعف في تحقيق العدل، ويتجسد في حياته بصورة أكبر عدالة الله وعلمه وقدرته ورحمته، ومسألة عدل الإله ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة الإرادة الإنسانية، وهي الخير والشر والحسن والقبيح[٢٣].

الأصل الرابع: أخلاق الإمامة عند الشيعة

يعتبر الشيعة الإمامة أصلًا وركنًا من أركان الإسلام، ولعل ذلك راجع إلى أن هذا الأصل انفردوا به عن سائر الأمم، وبه سميت الشيعة الإمامية، فالإيمان عندهم لا يتم إلا بالاعتقاد بالإمامة، ولا يجوز فيها التقريب بل يجب النظر فيها كالتوحيد والنبوة، وهي لطفة النبوة، والدليل الذي يوجب النبوة هو نفسه الذي يوجب نصب الإمام، إذًا هي نيابةٌ عن الرسول في حفظ الشريعة، وإقامة الحدود ولا يجوز أن تخلو الأرض من حجة على العباد من النبي أو وصيه ظاهر مشهور أو غير مشهور، ولا يجوز أن يخلع عصرًا من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى من المناصب الإلهية التي تحتاج إلى النصب من الله تعالى، ولا يصح تفويت ذلك إلى أحد من الناس، ويعتقدون أن لكل نبي اثني عشر وصيًا من لدن آدم إلى خاتم الرسل، وأولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر الغائب.

ومن عقيدتهم في الأئمة أنهم أخذوا علمهم من طريقين، الأول: أنهم تلقوا المعلومات عن النبي ميراثًا إمام عن إمام، والثاني: طريقة الإلهام وأودعها الله في الإمام، بها يعلم علم ما كان وما يكون وما هو كائن، وتعتقد الشيعة وجوب طاعة الأئمة، حيث أن أمرهم هو أمر الله ونهيهم نهيه، وطاعته ما يطاعتهم، ومعصيتهم هي معصيتهم، ولا يجوز الرد عليهم لأن الرد عليهم كالرد على الرسول، والرد على الرسول كالرد على الله سبحانه وتعالى، ويعتقدون أن الأئمة أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين بما فيهم أولو العزم من الرسل إلى خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٢٤].

ثالثاً: موقف الشيعة من الإمامة والخلافة:

الإمامة والخلافة لفظان يعبران عن معنى واحد وهو الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابةً عن النبي ε، وسمي القائم بهذه المهمات إمامًا لأن الناس يسيرون في ضوئها ويرشدهم إليه وسُمي بالخليفة، وحصل خلاف فيما بعد موت النبي ε، وأيضًا حدث نزاع في وجوب نص الإمام عليه فأنكره جماعة أثبتته جماعة، فالأشاعرة والمحدثون وبعض من المعتزلة يرون وجوب نص الإمام على الإمامة، أما الشيعة الإمامية فكلهم متفقون على وجوب الإمامة من طريق العقل والشرع، وأن اختيار الإمام يعود إلى الله وحده؛ لأنه وجد لطفًا من الله يقربهم من الطاعات، ويمنعهم عن المعاصي والمنكرات، وعند الشيعة لا تتحقق من خلال اختيار الناس، بل هي خاضعة لإرادة الله يختار من يشاء من عباده، ومن تتوفر فيه شروط الإمامة، فهي قضية إلهية استنفذت كل الحقائق، وهي تعني عند الشيعة امتداد طبيعي للنبوة.[٢٥]

مفهوم الإمامة:

الإمامة في اللغة: تعني ما أتُم به من رئيس أو غيره.

وفي الاصطلاح: انفردت الشيعة بمفهوم خاص بهم للإمامة، ووضعوا له قيودًا لتجعله غير منطبق إلا على أئمتهم، فقال بن مظهر الحلبي إن الإمام عندنا من جملة ما هو أعظم أركان الدين، وأن الإمام لا يثبت بدونه، فهم يرون أن الإمام منصب إليه النبوة، كما أمنا سبحانه أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة، وكذلك يختار للإمامة من يشاء، فما يميز المفهوم الشيعي للإمامة هو اقترابها الشديد من مفهوم النبوة، واعتبارها تكميلًا لها، فمفهوم الإمامة كما قال المفيد: "هو الإنسان الذي له رئاسة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي "، فقد تطورت نظرية الإمامة عند الشيعة بشكل ملحوظ، وأول من تكلم عن الإمامة وقال هي وصايا من النبي ، فهو أول من فرض إمامة علي، وقرر أنه منصب إلهي، وكان الشيعة يقولون بالنص من النبي على علي، وقد انتقلت الإمامة من علي إلى الحسن ثم منه إلى الحسين بهذه الطريقة، وحصر الشيعة الإسلام في ذرية الحسين، وتم إبعاد ذرية الحسن، ففي هذه المرحلة ظهر إضافة إلى القول بأن الإمامة إنما هي في الابن الأكبر القول بحجة الإمام على يد شيطان الطوف، وفي عصر الصادق ظهر القول بعصمة الأئمة لتدعيم ما ذهب إليه الشيعة في قولهم بحجة الإمام، وبعد موت، الحسن العسكري من دون ولد ظاهر فقد وصلت نظرية

الإمامة عند الشيعة إلى طريق مسدود، وهذه المرحلة شهدت تطورًا جديدًا في نظرية الإمامة، وهو القول بالإمام المهدي الذي يسميه الشيعة محمد بن الحسن العسكري، وما يتبع ذلك من قول الشيعة بوجود نصب من قبل الرسول يحدد الأئمة الاثني عشر إمامًا، وآخرهما الإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري.

وبعد هذا الحديث الطويل أردت أن أوضح مفهوم الإمامة، والقول بأن الإمام لابد وأن يكون معيَّنًا من الله تعالى باستحقاق الإيمان، أو أن يكون عن طريق النصر، وبعضها يدل على أن نصب الإمام واجب على الله، وبعدها يدل على أن الإمامة لأهل البيت وبعضها تدل على اختصاص على بالإمامة من أهل البيت، وهذه الأدلة في الواقع لا تخلو من إحدى هذه الحالات، الحالة الأولى: الأدلة غير الصحيحة لا تدل على العقائد الشيعية، الحالة الثانية: أدلة صحيحة ولكن لا تدل على شيء من عقائد الشيعة أيضًا، فقد أكد الباقلاني على أن النصف من النبي على علي إمام معين على الصفة التي تدعيها الشيعة من التصريح.

فالشيعة يرون أن الإمامة هي أصل الدين وقاعدته، فقالوا اعلم أن الإمامة أجمع على اشتراط صحة الأعمال فيوليها بالإمام، وأهل السنة يرون أن الإمامة من الأمور الفرعية، وقد بين شيخ الإسلام أن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة، فالكافر لا يصير مؤمنًا حتى يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله، فالكافر إذا أسلم قرأ عليهم رسول الله أحكام الإسلام، ولم تذكر لهم بحال، ولو كانت مسألة الإمامة أهم من المسائل الأهم مسائل الدين لكان النبي بين للأمة الباقية من بعده كما بين لهم أمور الصلاة والزكاة والصيام في الكتاب والسنة كبيان هذه الأصول، وقد أكد شيخ الإسلام على أن قول الشيعة أن الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين لا يخلو من أحد الأمور التالية، فالأمر الأول: بحصر الإمامة باسمه فبطل أن يكون هذا من أهم أمور الدين، الأمر الثاني: الإيمان بأحكام الإمامة مطلقة من غير تعيين، وهذا باطل أيضًا، فيوجد أمور أهم من الإمامة التوحيد والصلاة والزكاة، الأمر الثالث: هو أن يراد كل زمان بعين، بحيث يكون الأهم في زماننا الإيمان بالإمام المهدي المنتظر واهتمامهم بعليه أعظم من اهتمامهم بإمامة من بعد بطل هذا القول والأدلة النقلية على وجوب التعيين الإلهي للإمام[٢٦].

ومن صفات الإمام وأخلاقة عند الشيعة:

١- أنه عالم بكل شيء.
٢- علمه حاضر.
٣- يجب أن يكون أزهد الناس.
٤- يجب أن يكون أعرف الناس بالسياسة.
٥- يجب أن يكون أفضل الناس من حيث الصفات والعلم والمعرفة.
٦- الإمام معصوم من الذنوب.
٧- يجب أن يكون الإمام معروفًا.
٨- يجب أن يكون من أهل الملة أي من أهل ملة الرسول .
٩- من أهم الصفات أن الله تعالي هو الذي يختار الإمام[٢٧].

الإمامة والخلافة من المناصب الإلهية التي يتولى الله تعالى توليته لمن يشاء من عباده، وفي كتب الشيعة نجد أنهم يقرون أن الإيمان لابد فيه من الإمامة؛ لأن الإمامة لا تقوم بفعل منه في نفسه ولا بفعل من الناس، بل تكون بفعل من الله تعالى كما قال عز وجل للملائكة (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَة) (البقرة: ٣٠)، فالإمام يكون من قبل الله تعالى وباختياره واستدلت الشيعة بعده آيات منها: (إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة:١٢٤)، فمن خلال هذه الآية استدلت الشيعة على أن الإمام منصب إليه قد كتب أهل السنة في تفسير هذه الآية دلت على فساد عقيدة الشيعة فاستدل بها مجموعة من العلماء على أن الإمام.

١- يكون من أهل العدل والإحسان والفضل وقد حصل خلاف في تفسير الآية، فقيل أن المراد هو النبوة لأنها أجمل أنواع الإمامة مطلق الإيمان.
٢- قوله تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (ص: ٢٦)، هذه الآية لا تدل على شيء أيضًا مما ذهب إليه، فمعنى الآية أن الله جعل داوود عليه السلام خليفة يخلف من كان قبله من الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، ولم يكن القصيدة والمعنى وسلطة الله تعالى وجود خلفاء المجتمعين في وقت واحد هذا لا يجوز في عقيدة الشيعة.

قبل الدخول في الأدلة العقلية لابد أن نتحدث عن بطلان ما استند عليه الشيعة، ونوضحه بالتفصيل، فقد كان حكم العقل يوجد ما في الأشياء من صلاح وفساد ومن قبح وحسن، فهو يفعل ذلك قبل نزول الوحي، وبعد ذلك يأتي الوحي مصدقًا لما قال به العقل، وتفرقة الأمة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال، الأول: وهو قول المعتزلة بأن بقى لنا الحسن والقبح صفتان ذاتيتان، والحكم بالحسن والقبح هو للعقل، فالعقل هو الذي يوجب ما في الأشياء من صلاح وفساد، فتأثر به بالشيعة وتلقوه عن المعتزلة، الثاني: قول الأشاعرة هو أن الله لا يقبح منه شيء، ولا يجب عليه شيء من قبل العقل، وهذا القول لم يفعله أحد من سلف الأئمة، وقد حدث في الإسلام في زمن أبي الحسن الأشعري لما ناظر المعتزلة في القدر عن طريق الجهم بن صفوان، وأمثاله من أئمة الجبر وهو قول باطل، الثالث: قول أهل السنة والجماعة وهو التفصيل بمعنى أنه نفى دور العقل في التحسين والتقبيح غير صحيح لا يصح إطلاق كل فعل من جهة العقل دون الشرع.

والأئمة عند الشيعة سلسلة تبدأ بعلي بن أبي طالب، وتتوقف عند محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر كما ذكرنا من قبل، وأن الإمامة هي ركن من أركان العقيدة عندهم، ويعتبرون من ينكره أنه كافر، ويستحق الخلود في النار.

والأئمة عندهم اثنا عشر إمامًا، وهم علي بن ابي طالب توفي ٤٠ هجريًا، الحسن بن علي توفي ٥٠ هجريًا، الحسين بن علي توفي ٦١ هجريًا، علي زين العابدين توفي ٩٥ هجريًا، محمد بن علي بن الحسين توفي ١١٤ هجريًا، جعفر بن محمد بن علي توفي ١٤٨ هجريًا، موسى بن جعفر توفي ١٣٨ هجريًا، محمد الجواد بن علي بن موسى توفي ٢٢٠ هجريًا، علي بن موسى بن جعفر توفي ٢٠٣ هجريًا، علي الهادي بن محمد بن علي توفي ٢٥٤ هجريًا، الحسن العسكري بن علي بن محمد توفي ٢٦٠ هجريًا، محمد المهدي الحسن العسكري الملقب بالقائم فقد اختلفت الشيعة في تحديد موعد ميلاده، وتوجد عدة أقوال أشهرها أنه ولد في الثامن من شعبان سنة ٢٥٧ هجريًا، والقول الآخر أنه ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هجريًا، والقول الأخير أنه ولد في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٢٥٨ هجريًا، وغيرها من الأقوال، فالاختلاف حول مولد المهدي يوحي بأن هذه الشخصية ليست حقيقية، وأنه ليس له وجود حقيقي، ويوجد أقوال كثيرة حول أن الإمام الحادي عشر الحسن العسكري كان رجلًا عقيمًا، ولم يعقب له ولدًا، وقد حدثت

اضطرابات حول تحديد حقيقة أم المهدي فمن هي، وقيل أنها ثقيل أو اسمها حكمة، أو أنها جارية اسمها نرجس فهذا الاختلاف الواضح في تحديد اسم أُم المهدي يدل على أن هذه الشخصية ليست حقيقية كما ذكرنا من قبل.

لقبه الشيعة المهدي المنتظر بعدة ألقاب ومنها المهدي، والمنتظر، وصاحب الزمان، والقائم، والخلف، وغيرها من الألقاب وأيضًا وصفوا المهدي بعدة صفات، ومنها صفات جسمية، وصفات خلقية فالصفات الجسمية هي: مبدوح البطن عريض الفخذين شيخ في السن شاب بالمنظر، ولا يهرم بمرور الزمان والوقت، وأيضًا أنه أبيض مشرب بحمرة طويل ممتلئ الجسم.

فالمعروف بأن المهدي سيظهر في زمان كله ظلم وافتراء وزلازل وبراكين، فيأتي ليقيم الحق والعدل، فمن أهم صفات الخلقية هي العدل، والكرم، وأنه فارس، لا يغضب، فيقال إنه عندما يظهر سينتقم من أئمة الجمهور أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم من الأئمة، وهذا الكلام عجيب جدًا !!! [٢٨].

وأنه عندما يرجع فإنه سيحكم بحكم داوود، وهذا معناه أنه لا يحكم بالإسلام، وأنه سوف يهدم المسجد الحرام، وسوف يقيم حد الزنا على أم المؤمنين رضي الله عنها، وحتى يكتمل العدل فسوف يقيم الحد على العصاة والفاسقين وعلى رأسهم السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، ويقتل قريشًا ويصلبهم أحياء وأموات، وأنه سيخرج معه القرآن الحقيقي وسينزع الحجر الأسود من الكعبة، ويقال أن مدة حكم المهدي تعددت الأقوال فيها فمنهم من قال أنه سيحكم سبع سنين، ومنهم من قال أنه سيحكم عشر سنين[٢٩].

حرية الإرادة الإنسانية أو القضاء والقدر عند الشيعة:

القضاء جاء في اللغة العربية بأربعة معانٍ، الأول: الإعلام، والثاني: الخلق، والثالث: الأمر، والأخير: بمعنى الفصل بالحكم بين الناس، والقدر أيضًا جاء بثلاثة معانٍ، الأول: هو الإخبار والكتاب، والثاني: بمعنى وضع الأشياء في مواضعها، والثالث: بمعنى التوضيح، فأفعال الإنسان قد خلقها الله، وألزم الإنسان بها، فالله لم يخلق القبيح لأن الله جميل يحب الجمال، فقد خلق كل فعل حسن، وبالدليل أن الله تعالى أبطل المعاصي في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (الأعراف:٢٨)، ولو أنه خلق الطاعة والمعصية في عباده لأسقط عنهم المعاصي بمقتدى العدل، وتعتبر مشكلة

حرية الإرادة الإنسانية من أهم المشكلات الفلسفية، نشأت على أيدي الشيعة في عصر الإمام علي، وتعتبر نتاج تفكير الشيعة، فقد صور الإمام الحسن بن علي حرية الإرادة في قوله: "من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره، فقد كفر ومن حمل ذنوبه على ربه فقد فجر"، وقد جاء عن الإمام الصادق فقال: "لا جبر ولا تفويض ولا الأمر بين أمرين" وقال أيضًا:" لا جبر ولا قدر ولكن منزله بينهم".

لقد قسم الشيعة فعل الإنسان حسب ما تقتديه الضرورة إلى ثلاثة:

١. ما يصدر عن الإنسان وعن الطيور، ما يصدر عنه من غير قصد كفعل النائم.
٢. ما يصدر عنه عن قصد واختيار كالأكل والشرب والنزول، فهذا من فعل الإنسان لا من فعل غيره، لأن العاقل هو الذي يستطيع أن يفرق بين الحركات الاختيارية والاضطرارية، ويحكم على حركاته من خلال عقله وفطرته.
٣. وقد ظهر اتجاه آخر يذهب إلى القول بالجبر، وأن الأفعال مخلوقة لأنه لا خالق إلا الله، وقال البغدادي: "فمن زعم أن العباد خالقون لأفعالهم فهو قدري مشرك بربه لدعوة أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التي هي الحركات والسلوك"، وقد ظهر الاتجاه الجبري في العصر الأموي فقط، لأن في هذا العصر ظهرت جماعة قالوا بأن الإنسان مجبور في أفعاله، وليس لديه قوة على الفعل لأنه خاضع فيها لسلطان الله وإرادته، وأفعاله كلها صادرة عن الله، وقد تمثل في هذا الاتجاه الجبري عند أهل السنة الأشعري في قولهم أقروا أنه لا خالق إلا الله، وأن سيئات العباد يخلقها الله عز وجل، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئًا، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره، وذهب من أهل السنة من أكد على أن الله سبحانه وتعالى خالق الأجسام والأعراض خيرها وشرها، وأنه خالق أجسام العباد ولا خالق غير الله، وقد ترتب على هذا الرأي بأن لا إرادة للعبد مع إرادة الرب، وهذا يتمثل في أمرين هما:

الأول: أن كمال الإله في التفرد ونفي القدرة عيب ونقص.

الثاني: إثابة المحسن ليس للإحسان وحده، وإنما ذلك من فضل الله، وتعذيب من يعذبهم الله ليس لذنوبهم وحدها، وإنما لحكمة يعلمها الله، وليس في هذا الظلم، وقد نتوصل في النهاية إلى النتيجة، وهي أنه يوجد اتجاهين في حرية الإرادة الإنسانية، يذهب

الاتجاه الأول إلى أن أفعال الإنسان مخلوقة وليس له حرية وإرادة، والاتجاه الثاني: يثبت حرية الإنسان التي تجعله يتأثر بمؤثرات البيئة[٣٠].

الحسن والقبح أو الخير والشر:

فقد جعل تشييع العقل أصلًا من أصول التشريع؛ لأنهم ذهبوا إلى أن للأشياء حسنها وقبحها في درجة العقل قبل الشرع، وذهبت الشيعة ومن تابعهم من المعتزلة إلى أن من الأفعال ما هو معلوم الحسن والقبح ببداهة العقل كالألم، ويوجد من الأفعال ما هو معلوم بالاكتساب والتعليم، وإنه حسن كحسن الصدق الضار والقبح الكذب النافع، فإدراك الخير والشر أمر فطري في الإنسان، قال تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (البلد: ٨:١٠)، فهذا النص نستنتج منه أن الإسلام يعتبر إدراك الخير والشر هو فطري عند الإنسان، فيستطيع أن يصل إلى معرفة الخير والشر عن طريق الفطرة والتربية، ويُعتبر شيخ الطائفة الطوسي هو أول من مهد لفكرة الاستدلال بالعقل على الحكم الشرعي، وقام بتقسيم الأفعال إلى حسنة وقبيحة، وجعل الطريق لمعرفة تلك الأفعال هو العقل أو الشرع، فقد ذهبت الشيعة إلى تقسيم الحسن والقبيح إلى عقلي وشرعي؛ فالشرعي معناه أن الفعل بما هو يتصف أما بالحسن أو القبح، لكن العقل لا يتوصل إلى ذلك فيكون الشرع هو الذي يحدد حسنها، أما أهل السنة فذهبت فرق منهم إلى أن الحسن والقبح شرعيان، فالحسن هو حسن الشارع، والقبح هو من الشارع، يقول الألوسي:"كل ما أمر به الشارع فهو حسن، وكل ما نهى عنه فهو قبيح، فليس للعقل الحكم في حسن الأفعال وقبحها"، فالعقل من منظور الشيعة له وظيفة إدراك الحسن والقبيح، إلا أنه إدراك محدود بحدود خاصة لا تتعدى الكليات من ناحية، ولا تعنى كثيرًا بالقضايا الجزئية من ناحية أخرى، ولهذا توجد كثير من الأخطاء في بعض المدركات العقلية عندهم، فالعدالة مثلًا مما يطابق على حسن العقلاء، وأقاموا عليها دساتيرهم وأنظمتهم وشرائعهم، ولكن لو حاول الإنسان التعرف عليها في مجالات التطبيق لرأى التفاوت الكبير بينهم[٣١].

استدل الشيعة على فضيلة العلم بالعقل في قولهم أن شرف العلم، وتقدمه على جميع المعقولات والموجودات به للضرورة وحكم به العقل والوجدان، ففي العلم كمال التمام وفي الجهل النقصان وما يزيد من أهمية العلم عند الشيعة هو وجوب الاعتناء به

ومدراته ونشره بين جميع الأمم وتعلمه لكل من طلبه، ولم يقتصر الشيعة على طلب العلم على فئة خاصة من الناس بل شملوا جميع الفئات وجميع المسلمين وجاء عن الإمام الصادق لكل شيء زكاة، وزكاة العلم أن يعلمه أهله العالم والمتعلم في الأجر سواء فقد صار الشيعة على نفس أئمتهم وحسوا على طلب العلم وتعلمه وتعليمه[٣٢].

ومن ثم فالبحث في الأخلاق يرتبط ارتباطًا قويًا بالتربية، وهي التي تمدنا بتصور فيلسوف التربية للإنسان المتكامل، ونتصور سلوكه الذي ينبغي أن يكون عليه لكي يسلك هو وباقي الناس، وأيضًا ترتبط مباحث الأخلاق ارتباطًا وثيقًا جدًا بالتربية، فنظرة الفيلسوف للأخلاق تفسر لنا سلوك الناس، وتقسيم عمل الإنسان إلى خير أو شر يستلزم أيضًا وسيلة من وسائل التربية للإنسان لكي يعمل بطريقة صحيحة، ولكي يفعل الفضيلة ويتجنب الرذيلة، فيجب علينا أن نفهم كيف تعمل الحقائق الأخلاقية؛ لأن هذه الحقائق هي التي تساعدنا في فهم الحياة عامةً والحياة الأخلاقية خاصةً.

فالإسلام لا يقف عند حد معالجة الأمور الدينية، بل تعداها بأن يبين المجتمع علاقة أبنائه بعضهم البعض إلى دنيا الروح، وتقف حياتنا من خلال التعاليم الإسلامية الرشيدة، فقد أقرت بوجود حياة أخرى لا موت فيها ولا فناء، حياة حقيقية تبقى فيها النفس البشرية ناجية، ولهذا تعد التربية الخلقية المثالية إحدى أعراض التربية الإسلامية، فقد غرس العلماء الفضائل في نفوس المتعلمين، فالقيم الروحية ليست شكلًا فارغًا، أو إطارًا من الشعائر والأقوال التي تردد آليًا على الألسن، بل هي قبل كل شيء سلوك عملي في الحياة.

كما اتخذ الشيعة تبعًا لما اتخذه الإسلام للتوفيق بين الدوافع، الدافع الذاتي والقيم أو المصالح الاجتماعية، واهتموا بتربية الأخلاق وتربية الإنسان بطريقة أخلاقية، فكانوا يهتمون بتغذية الإنسان روحيًا، وتنمية العواطف الإنسانية والمشاعر والخلقية، فاهتموا بالتربية الأخلاقية اهتمامًا كبيرًا، حيث توصلوا إلى أن المتعلمين يجب أن يقوموا بمهمة تعليمية، والتي تتصف بالكماليات الأخلاقية، بل إضافةً إلى ذلك الأمر بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مبدأ عظيم يكون من خلاله صلاح الفرد والمجتمع، واعتبروه ركنًا أساسيًا في بناء الشخصية المسلمة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهج الصالحين، وفريضة عظيمة نقوم من خلالها بكل الفرائض، وهي التي تجعل الإنسان يعيش حياةً سعيدةً، وتجعل المجتمع يعيش حياة هادئة وحياة صالحة [٣٣].

الهوامش:

١ الحسن بن موسي النوبختي، فرق الشيعة، ط١، دار النشر والتوزيع منشورات الرضا، ٢٠١٢، ص ٣١: ٣٥

٢ الحسن بن موسي النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥١: ص٦١

٣ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ص٦١

٤ عبد الحميد درويش، المذاهب والفرق الإسلامية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٧ .، ص ١٧٤: ص ١٧٦

٥ مصطفي الشكعة، إسلام بلا مذاهب، مكتبة الأسرة، ط٢، ٢٠٠٥، ص ١٧١، ١٧٢

٦ عبد الحميد درويش، المذاهب والفرق الإسلامية، دراسة في علم الكلام، ص١٥٩

٧ علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٩، دار المعارف، ٢٠١٢، ص٣٠

٨ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الإسلامية مدخل ودراسة، ط١، مكتبة وهبة، ١٩٨٦، ص١٤١

٩ علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلامين، ج١، دار فرانزتشايز، ألمانيا، ٢٠٠٨، ص٢

١٠ عبد التواب محمد عثمان، الاتجاه الاصلاحي في الفكر الشيعي في العصر الحديث، دار الصفوة، ص ٢٧: ٣٠.

١١ معجم ألفاظ القرآن الكريم، نشر مجمع اللغة العربية، ج ١، مطبعة منفحة، من الهمزة إلي الضاد، ١٩٨٩، ص٦٥٢

١٢ السيد محمد صادق السيد، الشيعة، مطبعة الكوخ، ١٣٥٢، ص٨٢-٨٣

١٣ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ج٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩، ص ٦٤ -٦٥

١٤ أبو منصور بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق مكتبة الأصالة الإسكندرية، تعليقات وتخريجات الشيخ محمد محي الدين، ط١، ٢٠١٣، ص ٥٠

١٥ عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، ٢٠٠٠، ص ١١٩

١٦ عبد اللطيف بن عبد القادر، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره ، ص ١٢٣

١٧ المرجع السابق، ص٣٩٥ – ٣٩٨ .

١٨ عبد الحميد درويش، المذاهب والفرق الإسلامية، دراسة في علم الكلام، ص ١٦٢: ١٦٨

١٩ أحمد طلب، من عقائد الشيعة الاثني عشرية، ط٢، السفير الدولية للنشر، ٢٠٠٦، ، ص١١

٢٠ حسن محمد العطار، نظرية الإمامة عند الشيعة عرض ونقد، نافذ للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠، ص ٢٤: ٢٠

٢١ علاء الدين أمير محمد مهدي القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، ص١١٣: ١٢٠

٢٢ محمد محمد إبراهيم العسال، تقديم: أحمد بن سعد حمدان الغامدي، الشيعة الاثنا عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن، ص ٧٧–٧٨

٢٣ علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة، ص ١١٣: ١٢٠

٢٤ محمد محمد إبراهيم العسال، الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن، ص ٨٠: ٨٣ .

٢٥ نفس المرجع، ص:١٤٤، ١٤٥، ١٤٦

٢٦ سعد البريك، نقد الأشاعرة للشيعة الاثني عشرية في مسألة الإمامة، عبد الله سمك، صالح بن عبدالله الدرويش، تأليف: عبدالله بن سليمان، ط١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٢، ص١٠٠:٨٣

٢٧ محمد رضا المظفر، الشيعة والإمامة، ط٢، ١٩٥١، ص ١٨: ٥٦

٢٨ حسن محمد العطار، نظرية الإمامة عند الشيعة عرض ونقد، ص٢٥: ٣٨

٢٩ المرجع السابق، ص٤٥: ٤٩.

٣٠ علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص١٣١:١٣٩

٣١ علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة، ص ١٤٣:١٤٠

٣٢ علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، ص ١٥٩: ١٦٦.

٣٣ علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة، ص ١٨٧: ١٩٣

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ج٢، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.

٢. أبو منصور بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق مكتبة الأصالة الإسكندرية، تعليقات وتخريجات الشيخ محمد محي الدين، ط١، ٢٠١٣

٣. أحمد طلب، من عقائد الشيعة الاثني عشرية، ط٢، السفير الدولية للنشر، ٢٠٠٦

٤. الحسن بن موسي النوبختي، فرق الشيعة، ط١، دار النشر والتوزيع منشورات الرضا، ٢٠١٢

٥. حسن محمد العطار، نظرية الإمامة عند الشيعة عرض ونقد، نافذ للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠

٦. سعد البريك، نقد الأشاعرة للشيعة الاثني عشرية في مسألة الإمامة، عبد الله سمك، صالح بن عبد الله الدرويش، تأليف: عبد الله بن سليمان، ط١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٢

٧. السيد محمد صادق السيد، الشيعة، مطبعة الكوخ، ١٣٥٢

٨. عبد التواب محمد عثمان، الاتجاه الاصلاحي في الفكر الشيعي في العصر الحديث، دار الصفوة

٩. عبد الحميد درويش، المذاهب والفرق الإسلامية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠١٧

١٠. عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره، ٢٠٠٠

١١. علاء الدين أمير محمد مهدى القزويني، الفكر التربوي عند الشيعة، دار الثقافة للطباعة والنشر.

١٢.علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلامين، ج١، دار فرانزتشايز، ألمانيا، ٢٠٠٨.
١٣.علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٩، دار المعارف، ٢٠١٢.
١٤.علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الإسلامية مدخل ودراسة، ط١، مكتبة وهبة، ١٩٨٦.
١٥.محمد محمد إبراهيم العسال، تقديم: أحمد بن سعد حمدان الغامدي، الشيعة الاثنا عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن.
١٦.مصطفي الشكعة، إسلام بلا مذاهب، مكتبة الأسرة، ط٢، ٢٠٠٥
١٧.معجم ألفاظ القرآن الكريم، نشر مجمع اللغة العربية، ج ١، مطبعة منفحة، من الهمزة إلى الضاد، ١٩٨٩